سالمين من مأزق السياسة الحمقاء الحالية ونبرأ من داء الانحلال الذى سرى فى عروق أوربا الآن . اهـ

تلك هى أبلغ الأقوال وأحكم الآراء التى فاه بها كبار العلماء والمربين فى جلسات المؤتمر الكلية

وإنى لأرجو أن يكون فى هـذا القدر وما تقدمه الكفاية فى تمثيل المؤتمر لحضرات القراء تمثيلا موجزاً مفيداً . والسلام ؟

احمد فهمى العمروسى

اللورد فرانسيس بيكون

حياته — فلسفته

بعثنى على الكتابة فى هذا الموضوع اعتقادى أن أعظم مرب للانسان وقوفه على ما قام به العظماء من جليل الأعمال وما قدموه للمجتمع الانسانى من عظيم الاستكشافات العلميـة وكيف اقتحموا الأخطار وذللوا الصعاب وتغلبوا على العقبات بإرادتهـم الحديدية وعزائمهم الماضية ونفوسهم الكبيرة . هـذا الى ما فى سيرهم من عبر وعظات نحن أحوج ما نكون اليها فى وقتنا الحاضر لتكون لنا مرشداً أميناً وقائداً حكيما يقودنا بصدق وحزم الى ما نصبو اليه من رقى وسؤدد وما ننشده لبـلادنا من رفع مستوى التربية والأخلاق الى درجة تتناسب مع نهوضها وانتقالها من حال الى حال . لهذا كله بدأت

سلسلة أبحاثى التى اعتزمت على نشرها فى صحيفة المعلمين بتاريخ حياة اللورد فرانسيس بيكون ذلك الفيلسوف العظيم إمام المصلحين فى القرن السابع عشر وأرجو أن أوفق للافادة والاستفادة .

ولما كان من المحتمل أن بعض حضرات قراء الصحيفة لم تتح له فرصة يفترصها لدرس شيء من تاريخ هذا الفيلسوف رأيت أنه يجمل إجمال تاريخ حياته وما كان عليه من صفات قبل البدء فى أعماله الفلسفية لتكون هذه الأبحاث كالمرآة الصافية تتمثل فيها شخصية الرجل ونفسيته وعقليته بحيث يتجلى للقراء بعد هذه الابحاث بكامل صفاته وجميع مزاياه وأخلاقه . وقد قسمنا تاريخ حياته الى أدوار على حسب الترتيب الآتى :

(١) الدور الأول من أدوار حياته

ولد فرانسيس بيكون فى مدينة لندن فى منزل يعرف بيورك هوس فى حى يسمى الاستراند وذلك فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يناير سنة ١٥٦١ ميلادية من أبوين كريمين فأبوه السير نيقولاس بيكون وكان قانونياً فاضلا وسياسياً عظيما تربع فى عدة مناصب ذات شأن خطير وأثر عظيم فى ادارة شئون بلاده حتى وصل الى أرفع منصب وهو حافظ خاتم الملكة اليزابيث وشغل هذا المنصب عشرين سنة متوالية . أما أم فرنسيس بيكون فهى السيدة آن كوك ابنة السير أنتونى كوك الذى كان من أشهر علماء عصره وكان مربياً للملك ادوارد

السادس . وقد عنى عناية كبرى بتربية بنائه وعُمِّر حتى رآهن زوجات صالحات وأمهات سعيدات . وقد اشتهرت ابنته آن أم بيكون بمعرفتها الدقيقة لعدة لغات وبغزارة علمها فى الالهيات وبسعة اطلاعها على العلوم البشرية التى وجدت فى عصرها المعروف بعصر تقدم العلوم ومبدأ النهضة العلمية . لا غرابة أن أنجب هذان الأبوان فرانسيس بيكون — الذى كان أصغر أولادها — انما العجب من نبوغ أبناء الأمهات الجاهلات والآباء الخاملين . ولا يغرنكم ما ترونه فى بلادنا مخالفاً لهذا فانه من طريق المصادفة وليس أثراً من آثار التربية الصحيحة والبيئة العلمية ولا أدل على ذلك من التباين بين الأخ وأخيه فذاك عالم نابه فاضل وذاك جاهل منحط خامل . على أن النوابغ فى البيئة الجاهلة لا يكادون يذكرون بالنسبة لما تنتجه البيئات العلمية الصالحة من النوابغ كما هو مشاهد محسوس .

هذا ومن الأسف أن المعروف عن حياة بيكون الأولية قليل جداً . نأسف لذلك لما نحن فى أشد الحاجة اليه من اتباع قوانين أم فاضلة كأمه فى تربية أبنائنا ومن تتبع خطوات ذلك الرجل العظيم فى جميع أدوار حياته . والذى وصل الينا أنه كان فى طفولته ضئيل الجسم معتل الصحة تربى التربية الأولى كلها فى منزل والديه . ولعل اعتلال صحته هذا كان سبباً فيما عرف عنه منذ نعومة اظفاره من الرزانة والولع بالأعمال التى لا تحتاج الى حركة مع ما كان يظهر عليه من الذكاء المفرط والعبقرية النادرة حتى أصبح بين أقرانه من الصبية وصحابته من

الأطفال كالشمس بين الكواكب « اذا طلعت لم يبد منهن كوكب » ولعل الحكمة المأثورة « العقل السليم فى الجسم السليم » غير مطردة وأراها كذلك فى كثير من النوابغ والنابهين . ومن الأدلة على هذا الذكاء ما رواه التاريخ من أن بيكون لم يقض سنوات الطفولة دون أن يبرهن على ما كان عليه من الذكاء والاستعداد النادر لادراك الحقائق العامة التى أظهرها بعد ذلك فى عالم العلوم بأبهى مظاهرها وأنصع صورها وأن هذا الذكاء كان سبباً فى اجتذاب أعظم الناس علماً وجاهاً الى هذا النابغ الصغير وبخاصة الملكة اليزابيث التى كانت تسر بمنافشته وهو فى دور الطفولية وتبرهن لحاشيتها على قدرته المدهشة بما تلقيه عليه من الأسئلة التى كان يجيب عنها بما يدل على الحكمة النادرة والرزانة الغريبة فى مثل هذه السن . هذا الى ما كان يظهره من اليقظة الشديدة فى المحافظة على آداب السلوك وقوانين اللياقة وسنن المحادثة حتى أدى كل هذا الى أن تلقبه الملكة بحافظ خاتمها الصغير . وكأنى بهذا الفيلسوف الحابى وقد شمله بيت الملك بما شمل أباه به من نعمة وعطف ورعاية يجول فى نفسه معنى قول أمير الشعراء فى اسماعيل وآل اسماعيل

ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جزلا وارتديت جميلا
ووجدت آبائى على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا

ومن نزعات عقله الوثاب ونفسه الطامحة وهو فى هذه السن أنه بينما كان يلعب مع رفاقه من الصبية أمام كنيسة سن جيمز فى لندن

إذ تسلل خفية من بينهم ومشى برزانته المعهودة حتى دخل قبو الكنيسة ليبحث عن صدى الصوت الذى كان يتردد فيه عند صراخ الأطفال وعن سبب حدوثه ولكنه ما لبث أن عاد كئيباً محزوناً لأنه لم يوفق الى كشف هذا السر الذى خفى عليه أمره كذلك قضى جزءاً طويلا من وقته وهو فى الثانية عشرة من عمره فى التفكير العميق والتأمل الدقيق رجاء الوقوف على أسرار الشعوذة وما تحدثه من النتائج التى تحير ألباب الأطفال وتأخذ بمجامع قلوبهم ولكنه لم يوفق أيضاً وهو فى هذه السن الى أن يكشف خفاياها وغوامضها وكيف يمكن هذا العقل الصغير الخالى من التجارب أن يدرك ما لم تدركه عقول بعض الكهول حتى الآن . كيف يدرك أسرار مثل هذه الشعوذة التى قال عنها فى ذلك الوقت الأستاذ دوجالد استيوات أنها تستحق من الفلاسفة عناية أعظم مما وجهت اليها وبحثاً أوفى وأدق مما صرف فيها .

ولكن نفس بيكون الكبيرة وعقله اليقظ ومواهبه النادرة أبت إلا أن تظهره قبل أوانه وتقذف به وهو فى طفوليته الى ميدان الأعمال العقلية الشاقة وهو على ماعرفناه طفل ضئيل الجسم معتل الصحة . ولكن العظيم عظيم فى طفولته ، عظيم فى صباه ، عظيم فى كهولته ، عظيم فى شيخوخته ، عظيم فى جميع أدوار حياته فترى علامات العظمة وآثارها بادية على سيماه فى كل ظرف وزمان ومكان فتجذب اليه الأنظار وتوجه اليه الأفكار وتستميل إلى عبقريته أبطال عصره وذوى النفوذ

والسلطان فى أمته وهكذا كانت حال بيكون مع معاصريه من العلماء والكبراء والأبطال والعظماء .

٢ — الدور الثانى من أدوار حياته

بعد أن تربى بيكون التربية الأولية التى لم نعلم من أمرها كنهاسوى منزله انتظم فى ابريل من سنة ١٥٧٣ فى سلك طلاب كلية ترينيتى احدى كليات جامعة كمبردج وسنه ثلاث عشرة سنة ولا يمكن أن نذكر بالتفصيل جميع ما قام به من الأعمال وهو طالب لكثرتها وتشعبها وانما نذكر شيئاً من أهمها . فمن ذلك أنه وهو فى هذه السن وضع أساس الثورة الفكرية التى قلبت الفلسفة النظرية رأساً على عقب وأقامت على أنقاضها الفلسفة العملية التى لا يذكر إسمها إلا مقروناً باسم بيكون . وقد قضى بهذه الكلية ثلاث سنين أجهد نفسه أثناءها فى تحصيل العلم أيما إجهاد وكلفها فوق ماتحتمل النفوس البشرية من كد وعناء فى نظر العلوم الفلسفية والأدبية وتفهم أسرارهما حتى استنبط من أبحاثه أن طرق التعليم وأساليب التربية التى كانت متبعة فى ذلك الوقت سقيمة مختلة والنتائج المترتبة عليها عقيمة مملوءة بالأخطاء المنطقية والأغلاط العلمية ونشأ من عقيدته هذه أنه كان قليل الاحترام لارسطاطاليس يحتقر فلسفته ويسخر من تعاليمه لأنها غير صالحة للاثمار ولا قابلة للانتاج المفيد وأنها لاتصلح إلا للجدل والمناقشة العقيمة وان الغرض الذى ترمى اليه هذه الفلسفة خطأ فى عرضه وجوهره لأنه ليس بأكثر

من نتائج عقلية لاتنطبق على الواقع ولا يمكن أن تكون عملية وهذا كله غير ما يراه بيكون ويعتقده من أن الفلسفة يجب أن تعلم الانسان كيفية الانتفاع الصحيح بها وهذا ينحصر فى تسخير الطبيعة لخدمته وسيأتى الكلام على ذلك مفصلاً فى حياته الفلسفية التى هى أهم مباحثنا وكان يرى أنه لأجل تحقيق هذا الغرض الحديث يجب اختراع طريقة حديثة لدراسة الفلسفة . ثم ترك الجامعة بعد ثلاث سنين سنة ١٥٧٦ م بعد أن أتم الدراسة المقررة ولكنه تركها وهو يحمل فى نفسه احتقاراً عميقاً لمنهج الدراسة بالجامعة ولطريق التربية والتعليم ويعتقد أن نظامهما فى انجلترا نظام سيء فاسد كل الفساد . ويتبين من هذا أن بيكون أتم دراسته العالية وهو فى السادسة عشرة من عمره أى قبل أن يصل الى السن التى ينتظم فيها أقرانه بالمدارس الثانوية فى ذلك الوقت .

بعد أن ترك الجامعة وهذه العقيدة جارية فى نفسه جريان دم الحياة فى شرايين جسمه أرسله أبوه الى فرنسا تلميذاً سياسياً للسير امنياس بوليت سفير انجلترا بفرنسا فى ذلك الوقت وقد أراد والده بذلك أن يدخله الحياة السياسية ويجعل السياسة مهنة له فأقام بيكون مع أستاذه فى باريس زمناً قصيراً ثم سافر الى عدة مقاطعات ليدرس أحوال الشعب الفرنسى وأخلاقه وليمتع نفسه بالمناظر الطبيعية الجميلة وقد كان تنقله من مقاطعة لأخرى فى وقت القلاقل والاضطرابات التى اعتورت الحكومة الفرنسية ثم انتشرت فى جميع أرجاء فرنسا وعمت جميع طبقاتها فاستفاد بيكون من هذه الثورة كثيراً فى أعماله

السياسية وانغمس فى الاشتغال بالاحصاء والسياسة وكتب مذكراته المشهورة عن حالة أوروبا فى ذلك الوقت وقد طبعت مع ماطبع من مؤلفاته الكثيرة التى سيأتى الكلام عليها

وبينا هو منكب على درسه مجد فى عمله مدقق فى إحصائه باحث فى سياسته فاجأه القدر المعتوب بأولى مصائبه وأجل أرزائه وأعظم خطوبه وكبرى بلاياه وهى وفاة والده فجأة فى شهر فبراير من سنة ١٥٨٠ م فعاد الى انجلترا على الرغم منه وهو فى سن الثامنة عشرة وكأن المتنبى عناه بقوله

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

عاد وقد أثر هذا الحادث الجلل تأثيراً عميقاً فى نفسه وحاله ومستقبله . ومما زاد الطين بلّة أن والده كان قد وضع مقداراً من النقود فى أحد المصارف رجاء أن يوصى به لأصغر أولاده فرانسيس ليشترى به قطعة أرض يقف غلتها عليه لتكون مورد رزق لهذا الصغير الذى لم يكن له مورد رزق آخر ولكن شاء القدر أن يموت والده قبل إتمام هذه الوصية وأن يرمى هذا الغصن الناضر بصاعقتين فى آن واحد

تأتى المصائب حين تأتى جمة وأرى السرور يجىء فى الفلتات

ترتب على هذا أنه لم ينل من النقود المودعة سوى خمسها فبدأ حياته العملية فى فقر مدقع وكان هذا من أكبر العقبات التى اعترضت له فى حياته التى بدأها وقد ملأت قلبه آمال الاصلاح وملكت عليه نفسه عقيدة هدم القديم الفاسد وبناء الجديد الصالح فقضى عليه الجد

العاثر والدهر الجائر أن يتطلب الانتظام فى سلك الحكومة فالتمس الاشتغال بأحد المناصب والمنطق والعقل يحتمان إجابة سؤله بعد ما عرف من سيرته. ولكن من المدهش أن طلبه لم يصادف قبولا من ذوى النفوذ والسلطان من رجالات الدولة. نعم هذا مدهش لأن شابا مثل بيكون جميل الخلق، معتدل المزاج، عظيم الرغبة فى الاصلاح العلمى والاجتماعى، مفرط الذكاء، غزير العلم، واسع الاطلاع، بعيد النظر، صائب الرأى، قوى الحجة، عظيم المقدرة، يرفض طلبه مع ما ناله فوق هذا من إعجاب الملكة به، ورضاها عنه ومع روابط القرابة التى تربطه برئيس الوزراء الذى كان زوجا لخالته. من العجيب أنه مع هذا كله رفض طلبه وقضى على آماله بالخيبة وعلى توسلاته بالخذلان. فلم هذا مع شاب توافرت فيه جميع الشرائط واجتمعت فيه كل الصفات التى تؤهله للتربع فى أرفع المناصب الحكومية. ذلك لما أصيب به الانسان منذ ظهر على ظهر البسيطة من الأمراض الخلقية والأدواء الاجتماعية من حسد ممقوت وتنافس مكروه وتحيز مرذول مما جعل أبا العلاء يقول فيه قبل ذلك بقرون

والأرض للطوفان مشتافة لعلَّها من دَرَن تغسل

لقد كانت أسرة رئيس الوزراء وهى أسرة سيسل صاحبة الحول والطول، والنفوذ والسلطان، تخضع لها الرقاب، وتعنو لها الوجوه، تكره من يكون نبوغه، وتحقد عليه بعد صيته، وتحسد نباهة ذكره وذيوع شهرته العلمية ففعلت كل ما فى مقدورها وهو كما تعلمون عظيم

لتقصيه عن الحكومة ومناصبها مع أنه لم يرتكب جرماً ولم يأت شيئاً إذا بل سلك لتحصيل قوته أشرف المسالك وانتهج لحفظ كيانه أنبل المناهج ، متدرعاً بكفاءته ، متحصناً بأخلاقه ، متذرعاً بماضيه المجيد ، ومحتده النبيل ، ولقد حار الناس فى تعليل ما كان من غضب زوج خالته عليه ، وانحرافه عنه ، وقلب الدهر له ظهر المجن ، وانغلاق مسالك الحياة فى وجهه وكأنى به وهو يقول فى محنته

تنكرنى دهرى ولم يدر أننى صبور وعندى الحادثات تهون
وبات يريني الخطب كيف اقتداره وبت أريه الصبر كيف يكون

ولكن ما لبثت الحقيقة المرة أن ظهرت بأفظع مظاهرها تلك تلك الحقيقة التى تدل على أن الانسان انسان فى كل زمان ومكان يحمل الحقد لأقرانه وبخاصة من كان من ذويه وأقربائه . ذلك أنه كان لهذا الرئيس ولد من أقران بيكون وابن خالته اسمه ألبرت سيسل أتم دراسته فى هذا الوقت وأراد أبوه أن يظهره على مسرح السياسة العامة ولم يكن لهذا الشاب من المواهب والفطنة والشهرة وبعد الصيت ما لابن خالته فخشى الوالد على ابنه من النزول مع بيكون فى ميدان واحد لأنه لا شك قاض عليه بما أوتى من مقدرة ومنح من هبات . هذه هى الحقيقة وما أمرها وأسوأ وقعها فى النفوس الأبية الشريفة فى كل زمان ومكان حقيقة تكشفت عن التحيز الممقوت الذى كثيراً ما قبر النبوغ وقضى على النابهين وحرم الأمم الانتفاع بحكمة حكمائها والاستفادة من

عبقرية نوابغها ولكن سنة الله التي فطر الناس عليها ولن تجد لسنة الله تبديلا .

هل فت في عضد يكون ما انتابه من النوائب وحل به من المصائب وحالفه من البلايا كلا فقد كان يقابل ذلك بصدر رحب وعزيمة ماضية وابتسامة ثم عن استهانته بالخطوب ورزانة تترجم ما كان يجول في خاطره من قول القائل

وما أنا من قوم تهون نفوسهم عليهم اذا خانتهم الصحب والأهل
فلي من مضائي رفقة وعشيرة فلا سيد يناي ولا صاحب يسلو
وما قتلتني الحادثات وإنما وجود الفتى في دون مركزه قتل

فأخذ يتمشى مع الحياة التي تنكرت له ، ويصابر الدهر الذي عاداه ثم غير مجرى حياته الأولى وتغلب على ميوله الطبيعة وودع الفلسفة والأدب والسياسة مؤقتاً وانكب على درس القانون مضحياً براحته غير مشفق على صحته المعتلة ولا راحم جسمه الضئيل

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

كل هذا على ما به من فاقة أودت بأسباب راحته وذهبت برفاهية عيشه وأظهرته في حال تنكره معها الصديق ، وقطعه القريب ، وجفاه من كان يأنس بقربه ، ويلذ سمره فلم يقصر هذا من همته ولم يؤثر في كده وجده بل سار في طريقه قانعاً من العيش بالكفاف يجول في خاطره معنى قول الشاعر المصري

نفس الكريم اذا تنكر دهرها غنيت من الدنيا بأيسر زاد

الى هنا انتهى الدور الثانى من أدوار حياته وابتدأ الدور الثالث الذى سيكون بعون الله موضوع مقالنا التالى ؟

أبو الفتح الفقى

السلطة والحرية

معناهما — نشأتهما — أثرهما فى التربية

أشرت فى المقال السابق ، الى أن الرومان عرفوا الحرية لأنفسهم وضنوا بها على غيرهم من بنى الانسان ، وليس أدل على ذلك من تلك الحروب السياسية ، التى اشتعلت نيرانها بين حزبين كبيرين من سكان رومة ، أولهما حزب الوطنيين ، الذين أسسوها ، ونشئوا بين ربوعها ، وثانيهما حزب النزلاء ، الذين أجلوا عن بلادهم ، واتخذوا رومة وطناً لهم . وقد قام النزلاء يدافعون عن أنفسهم ويطلبون حقوقهم لما استبد بهم الوطنيون ووضعوا القوانين التى حرمتهم كثيراً من المراكز العالية ومن نصيبهم فى الأراضى العامة وجعلتهم سلعة فى أيدى أرباب الأموال الذين أكلوا الربا أضعافاً مضاعفة وسلبوا المدين من النزلاء حريته وحياته وأذاقوه العذاب ألواناً واسترقوا أولاده لا لذنب جنوه سوى إعسار أبيهم وما زالت تلك الحرب قائمة على قدم وساق حتى نال النزلاء حقوقهم كاملة ولا شك أن القائمين بالأمر فى مثل هذا العصر — عصر النضال السياسى واستبداد طائفه بأخرى — لا يوجهون العناية الى